ألف ليلة وليلة



نعم ونعمة

ألف ليلة وليلة

نعم ونعمة

راجعها

سعيد جودة السحار ، عبد الستار فراج

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

بسم الله الرحمن الرحيم

حكاية نعم ونعمة

قال بهرام : ذكروا والله أعلم أنه كان بمدينة الكوفة رجل من وجوه أهلها يقال له الربيع بن حاتم ، وكان كثير المال مرفه الحال ، وكان قد رزق ولدا فسماه نعمة الله . فبينما هو ذات يوم بدكة النخاسين إذ نظر جارية تعرض للبيع وعلى يدها وصيفة صغيرة بديعة فى الحسن والجمال ، فأشار الربيع إلى النخاس وقال له : بكم هذه الجارية وابنتها ؟

فقال : بخمسين دينارا .

فقال الربيع : اكتب العهد وخذ المال وسلمه لمولاها .

ثم دفع للنخاس ثمن الجارية وأعطاه دلالته ، وتسلم الجارية وابنتها ومضى بهما إلى بيته ، فلما نظرت ابنة عمه إلى الجارية قالت له : يا ابن العم ما هذه الجارية ؟

قال : اشتريتها رغبة فى هذه الصغيرة التى على يديها ، واعلمى أنها إذا كبرت ما يكون فى بلاد العرب والعجم مثلها ولا أجمل منها .

فقالت لها ابنة عمه : ما اسمك يا جارية ؟

فقالت : يا سيدتى اسمى توفيق .

قالت : وما اسم ابنتك ؟

قالت : سُعدى .

قالت : صدقت ، لقد سعدت وسعد من اشتراك .

ثم قالت : يا ابن عمى ما نسميها ؟

قال : ما تختارينه أنت .

قالت : نسميها نُعم .

قال الربيع : لا بأس بذلك .

ثم إن الصغيرة نعم تربت مع نعمة بن الربيع فى مهد واحد إلى حين بلغا من العمر عشر سنين ، وكان كل شخص منهما أحسن من صاحبه ، وصار الغلام يقول لها : يا أختى . وهى تقول له : يا أخى .

ثم اقبل الربيع على ولده نعمة حين بلغا هذه السن وقال له : ياولدى ليست نعم اختك بل هى جاريتك ، وقد اشتريتها على اسمك وأنت فى المهد ، فلا تدعها باختك من هذا اليوم .

قال نعمة لابيه : فإذا كان كذلك فانا اتزوجها .

ثم إنه دخل على والدته واعلمها بذلك فقالت : يا ولدى هى جاريتك .

فدخل نعمة بن الربيع بتلك الجارية واحبها ، ومضى عليهما أربع سنين وهما على تلك الحال .

ولم يكن بالكوفة جارية أحسن من نعم ولا احلى ولا أظرف منها ، وقد كبرت وقرات القرآن والعلوم وعرفت انواع اللعب والآلات ، وبرعت فى المغنى وآلات الملاهى حتى فاقت جميع أهل عصرها .

فبينما هى جالسة ذات يوم من الأيام مع زوجها نعمة بن الربيع فى مجلس الشراب ، اخذت العود وشدت أوتاره وانشدت هذين البيتين :

إذا كنت لى مولى أعيش بفضله وسيفا به أفنى رقاب النوائب

فمالى إلى زيد وعمرو شفاعة سواك إذا ضاقت علىّ مذاهبى

فطرب نعمة طربا عظيما ثم قال لها : بحياتى يا نعم غنى لنا على الدف وآلات الطرب .

فأطربت بالنغمات ،وغنت بهذه الأبيات :

وحياة من ملكت يداه قيادى لأخالف على الهوى حسادى
ولاعصين عواذلى واطيعكم ولاهجرن تلذذى ورقادى
ولأجعلن لكم بأكناف الحشا قبرا ولم يشعر بذاك فؤادى

فقال الغلام : لله درك يا نعم .

فبينما هما فى أطيب عيش إذ بالحجاج فى دار نيابته يقول : لابد لى أن احتال على أخذ هذه الجارية التى اسمها نعم وارسلها إلى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ، لأنه لم يوجد فى قصره مثلها ولا أطيب من غنائها .

ثم إنه استدعى عجوزا قهرمانة وقال لها : امضى إلى دار الربيع واجتمعى بالجارية نعم وتسببى فى أخذها ، لأنه لا يوجد على وجه الأرض مثلها .

فقبلت العجوز من الحجاج ما قاله ، ولما اصبحت لبست أثوابها الصوف ، وعلقت فى رقبتها مسبحة حباتها ألوف .

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢٦٩

(فلما كانت الليلة التاسعة والستون بعد المائتين) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن العجوز قبلت ما قاله الحجاج ، ولما أصبحت لبست أثوابها الصوف ، وعلقت فى رقبتها مسبحة عدد حباتها ألوف ، وأخذت بيدها عكازا وركوة يمانية ، وسارت وهى تقول : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

ولم تزل فى تسبيح وابتهال ، وقلبها ملآن بالمكر والمحال ، حتى

وصلت إلى دار نعمة بن الربيع عندصلاة الظهر فقرعت الباب ، ففتح لها البواب وقال : ما تريدين ؟

قالت : انا فقيرة من العابدات وادركتنى صلاة الظهر ، وأريد أن اصلى فى هذا المكان المبارك .

فقال لها البواب : يا عجوز إن هذه دار نعمة بن الربيع وليست بجامع ولا مسجد .

فقالت : انا اعرف انه لا جامع ولا مسجد وانها دار نعمة بن الربيع ، وأنا قهرمانة من قصر امير المؤمنين خرجت طالبة العبادة والسياحة .

فقال لها البواب : لا امكنك من أن تدخلى .

وكثر بينهما الكلام ، فتعلقت به العجوز وقالت له : هل يمنع مثلى من دخول دار نعمة بن الربيع وانا اعبر إلى ديار الأمراء الأكابر ؟

فخرج نعمة وسمع كلامها فضحك وأمرها أن تدخل خلفه ، فدخل نعمة وسارت العجوز خلفه حتى دخل بها على نعم فسلمت عليها العجوز بأحسن سلام ، ولما نظرت إلى نعم تعجبت من فرط جمالها ثم قالت لها : يا سيدتى أعيذك بالله الذى الف بينك وبين مولاك فى الحسن والجمال .

ثم انتصبت العجوز فى المحراب ، واقبلت على الركوع والسجود والدعاء إلى أن مضى النهار واقبل الليل بالاعتكار ، فقالت الجارية : يا امى اريحى قدميك ساعة .

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

(فلما كانت الليلة الموفية للسبعين بعد المائتين) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الجارية قالت للعجوز : يا أمى اريحى قدميك ساعة .

فقالت العجوز : يا سيدتى من طلب الآخرة اتعب نفسه فى الدنيا ، ومن لم يتعب نفسه فى الدنيا لم ينل منازل الأبرار فى الآخرة .

ثم إن نعم قدمت الطعام للعجوز وقالت لها : كلى من طعامى وادعى لى بالتوبة والرحمة .

فقالت العجوز : يا سيدتى إنى صائمة ، واما أنت فصبية يصلح لك الأكل والشرب والطرب والله يتوب عليك ، وقد قال الله تعالى : (إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا) .

ولم تزل الجارية جالسة مع العجوز ساعة تحدثها ، ثم قالت لسيدها :



يا سيدى احلف على هذه العجوز أن تقيم عندنا مدة ، فإن على وجهها أثر العبادة .

فقال : أخلى لها مجلسا للعبادة ، ولا تخلى أحدا يدخل عليها ، فلعل الله سبحانه وتعالى ينفعنا ببركتها ولا يفرق بيننا .

ثم باتت العجوز ليلتها تصلى وتقرأ إلى الصباح ، فلما أصبح الصباح جاءت إلى نعمة ونعم وصبحت عليهما وقالت لهما : أستودعكما الله .

فقالت لها نعم : إلى أين تمضين يا أمى ، وقد أمرنى سيدى أن أخلى لك مجلسا تعتكفين فيه للعبادة ؟

فقالت العجوز : الله يبقيه ويديم نعمه عليكما ، ولكن أريد منكما أن توصيا البواب أنه لا يمنعنى من الدخـول إليكمـا ، وإن شـاء الله تعالى أدور فى الأماكن الطاهرة وأدعو لكما عقب الصلاة والعبـادة فى كل يوم وليلة .

ثم خرجت من الدار والجارية نعم تبكى على فراقها ، وما تعلم السبب الذى أتت إليها من أجله .

ثم إن العجوز توجهت إلى الحجاج فقال لها : ما وراءك ؟

فقالت له : إنى نظرت إلى الجارية فرأيتها لم تلد النساء أحسن منها فى زمانها .

فقال لها الحجاج : إن فعلت ما أمرتك به يصل إليك منى خير جزيل .

فقالت له : أريد منك المهلة شهرا كاملا .

فقال لها : أمهلتك شهرا .

ثم إن العجوز جعلت تتردد إلى دار نعمة وجاريته نعم .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

(فلما كانت الليلة الحادية والسبعون بعد المائتين) قالت : بلغني أيها الملك السعيد أن العجوز صارت تتردد إلى دار نعمة ونعم ، وهما يزيدان في إكرامها . وما زالت العجوز تمسي وتصبح عندهما ، ويرحب بها كل من في الدار ، إلى أن اختلت العجوز بالجارية يوما من الأيام وقالت : يا سيدتي وأنه إني حضرت الأماكن الطاهرة ودعوت لك ، وأتمنى أن تكوني معي حتى ترى المشايخ الواصلين ، ويدعوا لك بما تختارين .

فقالت لها الجارية نعم : بالله يا أمي خذيني معك .

فقالت لها : استأذني حماتك وأنا آخذك معي .

فقالت الجارية لحماتها أم نعمة : يا سيدتي اسألي سيدي أن يخليني اخرج انا وانت يوما من الأيام مع أمي العجوز إلى الصلاة والدعاء مع الفقراء ، في الأماكن الشريفة .

فلما اتى نعمة وجلس ، تقدمت إليه العجوز وقبلت يديه فمنعها ذلك ، ودعت له وخرجت من الدار . فلما كان ثاني يوم جاءت العجوز ولم يكن نعمة في الدار ، فاقبلت على الجارية نعم وقالت لها : قد دعونا لكم البارحة ، ولكن قومي في هذه الساعة تفرجي وعودي قبل أن يجيء سيدك .

فقالت الجارية لحماتها : سألتك بالله أن تأذني لي في الخروج مع هذه المرأة الصالحة لأتفرج على أولياء الله في الأماكن الشريفة ، وأعود بسرعة قبل مجيء سيدي .

فقالت أم نعمة ، أخشى أن يدري سيدك .

فقالت العجوز : والله لا أدعها تجلس على الأرض ، بل تنظر وهي واقفة على أقدامها ولا تبطيء .

ثم اخذت الجارية بالحيلة وتوجهت بها إلى قصر الحجاج وعرفته بمجيئها بعد ان حطتها فى مقصورة ، فأتى الحجاج ونظر إليها فرآها اجمل اهل زمانها ولم ير مثلها . فلما رأته نعم سترت وجهها ، فلم يفارقها حتى استدعى حاجبه واركب معه خمسين فارسا ، وامره أن يأخذ الجارية على نجيب سابق ويتوجه بها إلى دمشق ويسلمها إلى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان . . وكتب له كتابا وقال له : اعطه هذا الكتاب وخذ منه الجواب ، واسرع إلىّ بالرجوع .

فتوجه الحاجب واخذ الجارية على هجين وسافر بها ، وهى باكية العين من اجل فراق سيدها ، حتى وصلا إلى دمشق . واستأذن على امير المؤمنين فأذن له ، فدخل الحاجب عليه واخبره بخبر الجارية فأخلى لها مقصورة . ثم دخل الخليفة حريمه فرأى زوجته فقال لها : إن الحجاج قد اشترى لى جارية من بنات ملوك الكوفة بعشرة آلاف ، وارسل إلىّ هذا الكتاب ، وهى صحبة الكتاب .

فقالت له زوجته :

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢٧٢

(فلما كانت الليلة الثانية والسبعون بعد المائتين) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ان الخليفة لما أخبر زوجته بقصة الجارية ، قالت له زوجته : زادك الله من فضله .

ثم دخلت اخت الخليفة على الجارية فلما رأتها قالت : والله ما خاب من أنت فى منزله ، ولو كان ثمنك مائة الف دينار .

فقالت لها الجارية نعم : يا صبيحة الوجه قصر من هذا من الملوك ؟ – واى مدينة هذه المدينة ؟

قالت لها : هذه مدينة دمشق ، وهذا قصر أخي أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان .

ثم قالت للجارية : كأنك ما علمت هذا ؟

قالت : والله يا سيدتى لا علم لى بهذا .

قالت : والذى باعك وقبض ثمنك ما اعلمك بأن الخليفة قد اشتراك ؟

فلما سمعت الجارية ذلك الكلام سكبت دموعها وبكت وقالت فى نفسها : لقد تمت الحيلة علىّ ، ثم قالت فى نفسها : إن تكلمت فما يصدقنى احد ، ولكن اسكت وأصبر لعلمى أن فرج الله قريب .

ثم إنها أطرقت حياء وقد احمرت خدودها من أثر السفر والشمس ، فتركتها أخت الخليفة فى ذلك اليوم ، وجاءتها فى اليوم الثانى بقماش وقلائد من الجوهر والبستها ، فدخل عليها أمير المؤمنين وجلس إلى جانبها فقالت له أخته : انظر إلى هذه الجارية التى قد كمل الله فيها الحسن والجمال .

فقال الخليفة لنعم : ازيحى القناع عن وجهك .

فلم تزح القناع عن وجهها ، فلم ير وجهها وإنما رأى معاصمها فوقعت محبتها فى قلبه . وقال لأخته : لا أدخل عليها إلا بعد ثلاثة أيام حتى تستأنس بك .

ثم قام وخرج من عندها ، فصارت الجارية متفكرة فى أمرها ومتحسرة على افتراقها من سيدها نعمة . فلما أتى الليل مرضت الجارية بالحمى ولم تأكل ولم تشرب وتغير وجهها ومحاسنها ، فعرفوا الخليفة بذلك فشق عليه أمرها ، ودخل عليها بالأطباء واهل البصائر فلم يقف لها أحد على طب .

هذا ما كان من أمرها .

وأما ما كان من أمر سيدها نعمة ، فإنه أتى إلى داره وجلس على فراشه ونادى : يا نعم .

فلم تجبه . فقام مسرعا ونادى فلم يدخل عليه احد ، وكل جارية في البيت اختفت خوفا منه . فخرج نعمة إلى والدته فوجدها جالسة ويدها على خدها فقال لها : يا امى أين نعم ؟

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢٧٣

(فلما كانت الليلة الثالثة والسبعون بعد المائتين) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن نعمة قال لأمه : يا امى أين نعم ؟

فقالت له : يا ولـدى مع من هى اوثق منى عليهـا وهى العجوز الصالحة ، فإنها خرجت معها لتزور الفقراء وتعود .

فقال : ومتى كان لها عادة بذلك ؟ وفى اى وقت خرجت ؟

قالت : خرجت بكرة النهار .

قال : وكيف اذنت لها بذلك ؟

فقالت : يا ولدى هى التى اشارت علىّ بذلك .

فقال نعمة : لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

ثم خرج من بيته وهو غائب عن الوجود ، ثم توجه إلى صاحب الشرطة فقال له : اتحتال علىّ وتأخذ جاريتى من دارى ؟ فلابد لى ان اسافر واشكوك إلى امير المؤمنين .

فقال صاحب الشرطة : ومن أخذها ؟

فقال : عجوز صفتها كذا وكذا ، وعليها ملبوس من الصوف ، وبيدها مسبحة عدد حباتها الوف .

فقال صاحب الشرطة : اوقفنى على العجوز وانا اخلص لك جاريتك .

فقال : ومن يعرف العجوز ؟

فقال له صاحب الشرطة : ومن يعلم الغيب إلا الله سبحانه وتعالى ؟

وقد علم صاحب الشرطة انها محتالة الحجاج .

فقال له نعمة : ما أعرف جاريتي إلا منك ، وبيني وبينك الحجاج .

فقال له : امض إلى من شئت .

فتوجه نعمة إلى قصر الحجاج ، وكان والده من أكابر اهـل الكوفة ، فلما وصل إلى بيت الحجاج دخل حاجب الحجاج عليه وأعلمه بالقضية .
فقال له : عليّ به .

فلما وقف بين يديه قال له الحجاج : ما بالك ؟

فقال له نعمة : كان من أمري كذا وكذا .

فقال : هاتوا صاحب الشرطة فنأمره أن يفتش على العجوز .

فلما حضر صاحب الشرطة قال له : اريد منك أن تفتش على جارية نعمة بن الربيع .

فقال له صاحب الشرطة : لا يعلم الغيب إلا الله تعالى .

فقال له الحجاج : لابد أن تركب الخيل وتبصر الجارية فى الطرقات ، وتنظر فى البلدان .

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢٧٤

(فلما كانت الليلة الرابعة والسبعون بعد المائتين) قالت : بلغنى ايها الملك السعيد ان الحجاج قال لصاحب الشرطة ، لابد ان تركب الخيل وتنظر فى البلدان والطرقات ، وتفتش على الجارية .

ثم التفت إلى نعمة وقال له : إن لم ترجع جاريتك دفعت لكَ عشر جوار من داري ، وعشر جوار من دار صاحب الشرطة .

ثم قال لصاحب الشرطة ، اخرج فى طلب الجارية .

فخرج صاحب الشرطة ، ونعمة مغموم وقد يئس من الحياة . وكان قد بلغ من العمر اربع عشرة سنة ولا نبات بعارضيه ، فجعل يبكى وينتحب وانعزل فى داره ولم يزل يبكى إلى الصباح . فاقبل والده عليه وقال له : يا ولدى إن الحجاج قد احتال على الجارية وأخذها ، ومن ساعة إلى ساعة يأتى الله بالفرج من عنده .

فتزايدت الهموم على نعمة ، وصار لا يعلم ما يقول ولا يعرفه من يدخل عليه ، وأقام ضعيفا ثلاثة اشهر حتى تغيرت أحواله ويئس منه ابوه ، ودخل عليه الأطباء فقالوا : ما له دواء إلا الجارية .

فبينما والده جالس يوما من الأيام إذ سمع بطبيب ماهر أعجمى ، وقد وصفه الناس بإتقان الطب والتنجيم وضرب الرمل ، فدعا به الربيع .. فلما حضر اجلسه الربيع واكرمه وقال له : انظر ما حال ولدى .

فقال لنعمة : هات يدك .



فأعطاه يده فجس مفاصله ونظر فى وجهه وضحك ، والتفت إلى أبيه وقال : ليس بولدك غير مرض فى قلبه .

فقال : صدقت يا حكيم ، فانظر فى شأن ولدى بمعرفتك واخبرنى بجميع أحواله ، ولا تكتم عنى شيئا من أمره .

فقال الأعجمى : إنه متعلق بجارية ، وهذه الجارية فى البصرة او فى دمشق ، وما دواء ولدك غير اجتماعه بها .

فقال الربيع : إن جمعت بينهما فلك عندى ما يسرك ، وتعيش عمرك كله فى المال والنعمة .

فقال له الأعجمى : إن هذا الأمر قريب وسهل .

ثم التفت إلى نعمةٌ وقال له : لا بأس عليك ، فطب نفسا وقر عينا .

ثم قال للربيع : أخرج من مالك اربعة آلاف دينار .

فأخرجها وسلمها للأعجمى . فقال له الأعجمى : اريد ان يسافر ولدك معى إلى دمشق ، وإن شاء الله تعالى لا ارجع إلا بالجارية .

ثم التفت الأعجمى إلى الشاب وقال له : ما اسمك ؟

قال : نعمة .

قال : يا نعمة اجلس فى أمان الله تعالى ، لقد جمع الله بينك وبين جاريتك .

فاستوى جالسا فقال له : ثبت قلبك فنحن نسافر فى مثل هذا اليوم ، فكل واشرب وانبسط لتقوى على السفر

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

(فلما كانت الليلة الخامسة والسبعون بعد المائتين) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الأعجمى قال له : فكل واشرب وانبسط لتقوى على السفر .

ثم إن الأعجمى أخذ فى قضاء حوائجه من جميع ما يحتاج إليــه ، واستكمل من والد نعمة عشرة آلاف دينار ، وأخذ منه الخيل والجمــال وغير ذلك مما يحتاج إليه لحمل الأثقال فى الطريق . ثم إن نعمة ودع والده ووالدته وسافر مع الحكيم إلى حلب ، فلم يقع على خبر الجارية ، ثم إنهما وصلا إلى دمشق وأقاما فيها ثلاثة أيام ، وبعد ذلك أخــذ الأعجى دكانا وملأ رفوفه بالصينى النفيس والأغطية ، وزركش الرفوف بالذهب والقطع المثمنة ، وحط قدامه أوانى من القنانى فيها سائر الأدهان وسائر الأشربة ، ووضع حول القنانى أقداحا من البــلور ، وحط الأصطرلاب قدامه ، ولبس ثوب الحكمة والطب ، وأوقف بين يديه نعمة وألبسه قميصا وملوطة من الحرير بفوطة فى وسطه من الحرير مزركشــة بالذهب ، ثم قال الأعجمى لنعمة : يا نعمة أنت من اليوم ولدى ، فلا تدعنى إلا بأبيك وأنا لا أدعوك إلا بالولد .

فقال نعمة : سمعا وطاعة .

ثم إن أهل دمشق اجتمعوا على دكان الأعجمى ينظرون إلى حسن نعمة ، وإلى حسن الدكان والبضائع التى فيه ، والأعجمى يكلم نعمة بالفارسية ، ونعمة يكلمه كذلك بتلك اللغة لأنه كان يعرفها على عادة أولاد الأكابر . واشتهر ذلك الأعجمى عند أهل دمشق ، وجعلوا يصفون له الأوجاع وهو يعطيهم الأدوية ، ويأتونه بالقوارير المملوءة ببول المرضى فيبصرها ويقول : « إن مرض صاحب البول الذى فى هــذه القارورة كذا وكذا » . فيقول صاحب المرض : « إن هــذا الطبيب صادق » . ثم صار يقضى حاجة الناس ، واجتمع عليه أهل دمشق وشاع خبره فى المدينة وفى بيوت الأكابر .

فبينما هو ذات يوم جالس ، إذ اقبلت عليه عجوز راكبة على حمار برذعته من الديباج المرصع بالجواهـر ، فوقفت على دكان الأعجمى وشدت لجام الحمار ، واشارت للأعجمى وقالت له : امسك يدى .

فأخذ بيدها .. فنزلت من فوق الحمار وقالت : انت الطبيب الأعجمى الذى جئت من العراق ؟ .

قال : نعم .

قالت : اعلم أن لى بنتا وبها مرض .

واخرجت قارورة ، فلما نظر العجمى إلى ما فى القارورة قال لها : يا سيدتى ما اسم هذه الجارية حتى أحسب نجمها ، واعرف أى ساعة يوافقها فيها شرب الدواء ؟

فقالت : يا اخا الفرس اسمها نعم .

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢٧٦

(فلما كانت الليلة السادسة والسبعون بعد المائتين) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الأعجمى لما سمع اسم نعم جعل يحسب ويكتب على يده وقال لها : يا سيدتى ما أصف لها دواء حتى أعرف من أى أرض هى لأجل اختلاف الهواء ، فعرفينى فى أى أرض تربت ؟ وكم سنة سنها ؟ .

فقالت : سنها أربع عشرة سنة ، ومسرباها بأرض الكوفة من العراق .

فقال : وكم شهرا لها فى هذه الديار ؟

فقالت له : أقامت فى هذه الديار شهورا قليلة .

فلما سمع نعمة كلام العجوز ، عرف اسم جاريته ، خفق قلبه .

فقال لها الأعجمى : يوافقها من الادوية كذا وكذا .

فقالت له العجوز : أعطنى ما وصفت على بركة الله تعالى .

ورمت إليه عشرة دنانير على الدكان ، فنظر الحكيم إلى نعمة وأمره ان يهيىء لها عقاقير الدواء ، وصارت تنظر إلى نعمة وتقول : أعيذك بالله يا ولدى ، إن شكلها مثل شكلك .

ثم قالت العجوز للأعجمى : يا أخا الفرس هل هذا مملوكك او ولدك ؟

فقال لها الاعجمى : إنه ولدى .

ثم إن نعمة وضع لها الحوائج فى علبة ، واخذ ورقة وكتب فيها هذين البيتين :

إذا انعمت نعم علىّ بنظرة فلا اسعدت سعدى ولا اجملت جمل

وقالوا اسل عنها تعط عشرين مثلها وليس لها مثل ولست لها اسلو

ثم دس الورقة فى داخل العلبة وختمها ، وكتب على غطاء العلبة بالخط الكوفى : « أنا نعمة بن الربيع الكوفى » . ثم وضع العلبة قدام العجوز فأخذتها وودعتهما وانصرفت متوجهة إلى قصر الخليفة . فلما طلعت العجوز بالحوائج إلى الجارية وضعت علبة الدواء قدامها ثم قالت لها : اعلمى انه قد أتى مدينتنا طبيب أعجمى ما رايت احدا اعرف بأمور الأمراض منه ، فذكرت له اسمك بعد أن رأى القارورة فعرف مرضك ووصف دواءك ، ثم امر ولده فأعد لك هذا الدواء . وليس فى دمشق اجمل ولا أظرف من ولده ولا احسن ثيابا منه ، ولا يوجد لأحد دكان مثل دكانه .

فأخذت العلبة فرات مكتوبا على غطائها اسم سيدها واسم أبيه ؛ فلما رات ذلك تغير لونها وقالت : لا شك ان صاحب الدكان قد أتى فى شأنى .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

(فلما كانت الليلة السابعة والسبعون بعد المائتين) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن نعم قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن نعم قالت : لا شك ان صاحب الدكان قد أتى فى شأنى .

ثم قالت للعجوز : صفى لى هذا الصبى .

فقالت : اسمه نعمة ، وعلى حاجبه الأيمن اثر ، وعليه ملابس فاخرة ، وله حسن كامل .

فقالت الجارية ، ناولينى الدواء على بركة الله وعونه .

فأخذت الدواء وشربته وهى تضحك وقالت لها : إنه دواء مبارك .

ثم فتشت فى العلبة فرأت الورقة ففتحتها وقرأتها ، فلما فهمت معناها تحققت انه سيدها ، فطابت نفسها وفرحت . فلما رأتها العجوز قد ضحكت قالت لها : إن هذا اليوم يوم مبارك .

فقالت نعم : يا قهرمانة أريد الطعام والشراب .

فقالت العجوز للجوارى : قدمن إليها الأطعمة ، وجلست للأكل وإذا بعبد الملك بن مروان قد دخل عليهن ، ونظر الجارية وهى تأكل الطعام ففرح . ثم قالت القهرمانة : يا أمير المؤمنين يهنيك عافية جاريتك نعم ، وذلك انه وصل إلى هذه المدينة رجل طبيب ما رأيت أعرف منه بالأمراض ودوائها ، فأتيت لها منه بدواء فتعاطت منه مرة واحدة فحصلت لها العافية يا أمير المؤمنين .

فقال أمير المؤمنين : خذى الف دينار وقومى بإبرائها .

ثم خرج وهو فرحان بعافية الجارية ، وراحت العجوز إلى دكان الأعجمى بالألف الدينار واعطته إياها واعلمته أنها جارية الخليفة ؛ وناولته ورقة كانت نعم قد كتبتها . فأخذها الأعجمى وناولها لنعمة ؛ فلما رآها عرف خطها فوقع مغشيا عليه . فلما أفاق قرأ الورقة فوجد مكتوبا فيها : « من الجارية المسلوبة من نعمتها ، المخدوعة فى عقلها ،

المفارقة لحبيب قلبها . أما بعد فإنه قد ورد كتابكم علىّ فشرح الصدر وسر الخاطر ، وكان كقول الشاعر :

ورد الكتاب فلا عدمت أناملا كتبت به حتى تضمخ طيبا
فكأن موسى قد أعيد لأمه أو ثوب يوسف قد أتى يعقوبا

فلما قرأ نعمة هذا الشعر هملت عيناه بالدموع ، فقالت له القهرمانة : ما الذي يبكيك يا ولدى لا أبكى لك عينا .

فقال الأعجمى : يا سيدتى كيف لا يبكى ولدى ، وهذه جاريته وهو سيدها نعمة بن الربيع الكوفى ، وعافية هذا الجارية مرهونة برؤيته ، وليس بها علة إلا هواه .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢٧٨

(فلما كانت الليلة الثامنة والسبعون بعد المائتين) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الأعجمى قال للعجوز : كيف لا يبكى ولدى وهذه جاريته ، وهو سيدها نعمة بن الربيع الكوفى ، وعافية هذه الجارية برؤيته وليس لها علة إلا هواه ، فخذى أنت يا سيدتى هذه الألف الدينار لك ولك عندى أكثر من ذلك ، وانظرى لنا بعين الرحمة ولا تعرف إصلاح هذا الأمر إلا منك .

فقالت العجوز لنعمة : هل أنت مولاها ؟ .

فقال : نعم .

قالت : صدقت فإنها لا تفتر عن ذكرك .

فأخبرها نعمة بما جرى من الأول إلى الآخر .

فقالت العجوز : يا غلام لا تعرف اجتماعك بها إلا منى .

ثم ركبت وعادت من وقتها ودخلت على الجارية ، فنظرت فى وجهها وضحكت وقالت لها : يحق لك يا بنتى أن تبكى وتمرضى من أجل فراق سيدك نعمة بن الربيع الكوفى .

فقالت نعم : قد انكشف لك الغطاء وظهر لك الحق .

فقالت لها العجوز : طيبى نفسا وانشرحى صدرا ، فوالله لأجمعن بينكما ولو كان فى ذلك ذهاب روحى .

ثم إنها رجعت إلى نعمة وقالت له : إنى رجعت لجاريتك واجتمعت بها فوجدت عندها من الشوق إليك أكثر مما عندك لها ، وذلك أن أمير المؤمنين يريد أن يجتمع بها وهى تمتنع منه . فإن كان لك جنان ثابت وقوة قلب ، فأنا أجمع بينكما وأخاطر بنفسى معكما ، وأدبر حيلة وأعمل مكيدة فى دخولك قصر أمير المؤمنين حتى تجتمع بالجارية ، فإنها ما تقدر أن تخرج .

فقال لها نعمة : جزاك الله خيرا .

ثم ودعته وذهبت إلى الجارية وقالت لها : إن سيدك قد ذهبت روحه فى هواك وهو يريد الاجتماع بك، فما تقولين فى ذلك ؟

فقالت نعم : وأنا كذلك قد ذهبت روحى وأريد الاجتماع به .

فعند ذلك أخذت العجوز بقجة فيها حلى ومصاغ وبذلة من ثياب النساء ، وتوجهت إلى نعمة وقالت له : ادخل بنا مكانا وحدنا .

فدخل معها قاعة خلف الدكان ، ونقشته وزينت معاصمه وزوقت شعره وألبسته لباس جارية ، وزينته بأحسن ما تزين به الجوارى فصار كأنه من حور الجنان . فلما رأته القهرمانة فى تلك الصفة قالت : تبارك الله أحسن الخالقين ، والله إنك لأحسن من الجارية .

ثم قالت له : امش وقدم الشمال وأخر اليمين وهز أردافك .

فمشى قدامها كما أمرته ، فلما رأته قد عرف مشى النساء قالت له : امكث حتى آتيك ليلة غد إن شاء الله تعالى فآخذك وأدخل بك القصر ، وإذا نظرت الحجاب والخدامين فقو عزمك وطأطىء رأسك ولا تتكلم مع أحد ، وأنا أكفيك كلامهم وبالله التوفيق .

فلما أصبح الصباح أتته القهرمانة وأخذته وطلعت به القصر ، ودخلت قدامه ودخل هو وراءها فى أثرها ، فأراد الحاجب أن يمنعه من

الدخول فقالت له : يا انحس العبيد إنها جارية نعم محظية امير المؤمنين ، فكيف تمنعها من الدخول ؟

ثم قالت : ادخلى يا جارية .

فدخل مع العجوز ، ولم يزالا داخلين إلى الباب الذى يتوصل منه إلى صحن القصر فقالت له العجوز : يا نعمة قو نفسك وثبت قلبك وادخل القصر ، وخذ على شمالك وعد خمسة ابواب وادخل الباب السادس : فإنه باب المكان المعد لك ، ولا تخف وإذا كلمك احد فلا تتكلم معه .

ثم سارت به حتى وصلت إلى الأبواب . فقابلها الحاجب المعد لتلك الأبواب وقال لها : ما هذه الجارية ؟

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢٧٩

(فلما كانت الليلة التاسعة والسبعون بعد المائتين) قالت : بلغنى ايها الملك السعيد ان الحاجب قابل العجوز وقال لها : ما هذه الجارية ؟

فقالت العجوز : إن سيدتنا تريد اشتراءها .

فقال الخادم : ما يدخل احد إلا بإذن امير المؤمنين فارجعى بها ، فإنى لاأخليها تدخل لأننى امرت بهذا .

فقالت له القهرمانة : أيها الحاجب الكبير اين عقلك ؟ إن نعم جارية الخليفة — الذى قلبه متعلق بها — قد توجهت إليها العافية وما صدق امير المؤمنين بعافيتها ، وتريد اشتراء هذه الجارية فلا تمنعها من الدخول لئلا يبلغها انك منعتها عليك ، وإن غضبت عليك تسببت فى قطع راسك .



ثم قالت : ادخلى يا جارية ولا تسمعى كلامه ، ولا تخبرى سيدتك أن الحاجب منعك من الدخول .

فطأطأ نعمة رأسه ودخل القصر ، وأراد أن يمشى إلى جهة يساره ، فغلط ومشى إلى جهة يمينه ، وأراد أن يعد خمسة أبواب ويدخل السادس فعد ستة ودخل السابع . فلما دخل فى ذلك الباب رأى موضعا مفروشا بالديباج ، وحيطانه عليها ستائر الحرير المرقومة بالذهب ، وفيه مباخر العود والعنبر والمسك الأذفر ، ورأى سريرا فى الصدر مفروشا بالديباج فجلس عليه ، ولم يعلم بما كتب له فى الغيب . فبينما هو جالس متفكر فى أمره إذ دخلت عليه أخت أمير المؤمنين ومعها جاريتها ، فلما رأت الغلام جالسا ظنته جارية ، فتقدمت إليه وقالت له : من تكونين يا جارية ؟ وما خبرك ؟ وما سبب دخولك هذا المكان ؟



فلم يتكلم نعمة ولم يرد عليها جوابا . فقالت : يا جارية إن كنت من محاظى أخى وقد غضب عليك ، فأنا استعطفه عليك . فلم يرد نعمة عليهــا جوابا ، فعنــد ذلك قالت لجاريتها : قفى على باب المجلس ولا تدعى أحدا يدخل . ثم تقدمت إليه ونظــرت إلى جماله وقالت : يا صبية عرفينى من تكونين وما اسـمك ، وما سبب دخولك هنا ، فإنى لم انظرك فى قصرنا .

فلم يرد نعمة عليها جوابا ، فعندذلك غضبت اخت الخليفة ووضعت يدها على صدر نعمة ، فلم تجد له نهودا ، فأرادت أن تكشف ثيابه لتعلم خبره ، فقال نعمة : يا سيدتى أنا مملوك فاشترينى ، وانا مستجير بك فأجيرينى .

فقالت له : لا بأس عليك ، فمن انت ؟ ومن ادخلك مجلسى هذا ؟

فقال لها نعمة : انا أيتها الملكة أعرف بنعمة بن الربيع الكوفى ، وقد خاطرت بروحى لأجل جاريتى نعم التى احتال عليها الحجاج واخذها وارسلها إلى هنا .

فقالت له : لا بأس عليك .

ثم صاحت على جاريتها وقالت لها : امضى إلى مقصورة نعم .

وقد كانت التهرمانة أتت إلى مقصورة نعم وقالت لها : هل وصل إليك سيدك ؟

فقالت : لا والله .

فقالت التهرمانة : لعله غلط فدخل غير مقصورتك وتاه عن مكانك .

فقالت نعم : لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، قد فرغ اجلنا وهلكنا .

وجلستامتفكرتين ؛ فبينما هما كذلك إذ دخلت عليهما جارية أخت الخليفة فسلمت على نعم وقالت لها : إن مولاتى تدعوكِ إلى ضيافتها .

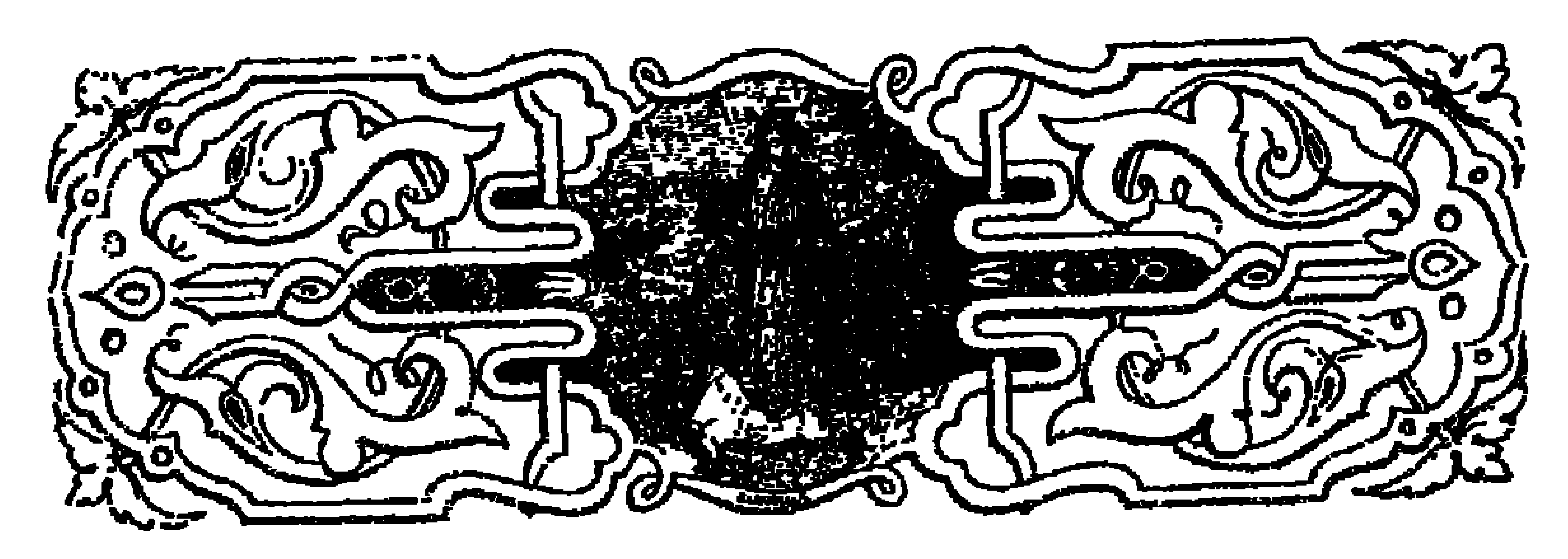
فقالت : سمعا وطاعة .

فقالت القهرمانة : لعل سيدك عند أخت الخليفة ، وقد انكشف الغطاء .

فنهضت نعم من وقتها وساعتها حتى دخلت على أخت الخليفة ، فقالت لها : هذا مولاك جالس عندى ولعله غلط فى المكان ، وليس عليك ولا عليه خوف إن شاء الله تعالى .

فلما سمعت نعم هذا الكلام من أخت الخليفة اطمأنت نفسها ، وتقدمت إلى مولاها نعمة ، فلما نظرها قام إليها .

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .



(فلما كانت الليلة الموفية للثمانين بعد المائتين) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن نعمة لما نظر إلى جاريته نعم قام إليها ، وضم كل واحد منهما صاحبه إلى صدره ثم وقعا على الأرض مغشيا عليهما . فلما أفاقا قالت لهما أخت الخليفة : اجلسا حتى نتدبر فى الخلاص من الأمر الذى وقعنا فيه .

فقالا لها : سمعا وطاعة والأمر لك .

فقالت : والله ما ينالكما منا سوء قط .

ثم قالت لجاريتها : أحضرى الطعام والشراب .

فأحضرته فأكلوا بحسب الكفاية ، ثم جلسوا يشربون فدارت عليهم الأقداح وزالت عنهم الأتراح ، فقال نعمة : ليت شعرى بعد ذلك ما يكون .

فقالت له أخت الخليفة : يا نعمة هل تحب جاريتك نعم ؟

فقال لها : يا سيدتى إن هواها هو الذى حملنى على ما أنا فيه من المخاطرة بروحى .

ثم قالت لنعم : يا نعم هل تحبين سيدك نعمة ؟

قالت : يا سيدتى هواه هو الذى أذاب جسمى وغير حالى .

فقالت : والله إنكما متحابان فلا كان من يفرق بينكما .. فقرا عينا وطيبا نفسا .

ففرحا بذلك ، وطلبت نعم عودا فأحضروه لها ، فأخذته وأصلحته وأطربت بالنغمات ، وأنشدت هذه الأبيات :

ولما أبى الواشون إلا فراقنا　　　وليس لهم عندى وعندك من ثار

وشنوا على أسماعنا كل غارة　　　وقلت حماتى عند ذاك وأنصارى

ثم أن نعم أعطت سيدها العود وقالت له : غن لنا شعرا .

فأخذه وأصلحه وأطرب بالنغمات ، ثم أنشد هذه الأبيات :

البـدر يحـكيك لولا أنـه كـلف
والشمس مثلك لولا الشمس تنكسف
إنى عجبت وكم فى الحب من عجب
فيه الهموم وفيـه الوجـد والكلف
أرى الطريق قريبـا حين أسـلكه
إلى الحبيب ، بعيـدا حين أنصرف

فلما فرغ من شعره ملأت له قدحا وناولته إياه فأخذه وشربه ، ثم ملأت قدحا آخر وناولته لأخت الخليفـة فشربته ، وأخـذت العـود وأصلحته وشدت أوتاره ، وأنشدت هذين البيتين :

غم وحزن فى الفـؤاد مقيم ... وجوى تردد فى حشـاى عظيم
ونحول جسم قد تبدى ظاهرا ... فالجسم منى بالغرام سـقيم

ثم ناولت العود لنعمة بن الربيع فأخذه وأصلح أوتاره ، وأنشد هذين البيتين :

يا مـن وهبت له روحى فعـذبها ... ورمت تخليصـها منـه فلم أطـق
دارك محبـا بما ينجيـه من تلف ... قبل الممات فهـذا آخـر الرمـق

ولم يزالوا ينشدون الأشعار ويشربون على نغمات الأوتار ، وهم فى لذة وحبور وفرح وسرور . فبينما هم كذلك إذ دخل عليهم أمـير المؤمنين ، فلما نظروه قاموا اليه وقبلوا الأرض بين يديه ، فنظر إلى نعم والعود معها فقال : يا نعم الحمد لله الذى أذهب عنك البأس والوجع .

ثم التفت إلى نعمة وهو على تلك الحال وقال : يا أختى من هذه الجارية التى فى جانب نعم ؟

فقالت له أخته : يا أمير المؤمنين إن هذه جارية من المحاظى أنيسـة ، لا تأكل نعم ولا تشرب إلا وهى معها .

ثم أنشدت قول الشـاعر :

ضدان ، واجتمعا افتراقا فى البها والضد يظهر حسنه الضد

فقال الخليفة : والله العظيم إنها مليحة مثلها ، وفى غد أخلى لها مجلسا بجانب مجلسها وأخرج لها الفرش والقماش ، وانقل إليها ما يصلح لها أكثر مما لنعم .

واستدعت اخت الخليفة الطعام فقدمته لأخيها ، فأكل وجلس معهم فى تلك الحضرة ، ثم ملأ قدحا وأومأ إلى نعم أن تنشد له من الشعر ، فأخذت العود بعد أن شربت قدحين ، وأنشدت هذين البيتين :

إذا ما نديمى علنى ثم علنى ثلاثة أقداح لهن هدير

أبيت أجر الذيل تيها كأننى عليك أمير المؤمنين أمير

فطرب أمير المؤمنين ، وملأ قدحا آخر وناوله إلى نعم وأمرها أن تغنى ، فبعد أن شربت القدح جست الأوتار ، وأنشدت هذه الأشعار :

يا أشرف الناس فى هذا الزمان وما له مثيل بهذا الأمر يفتخر

يا واحداً فى العلا والجود منصبه يا سيدا ملكا فى الكل مشتهر

يا مالكا لملوك الأرض قاطبة تعطى الجزيل ولا من ولا ضجر

أبقاك ربى على رغم العدا كمدا وزان طالعك الإقبال والظفر

فلما سمع الخليفة من نعم هذه الأبيات قال لها : لله درك يا نعم ، ما أفصح لسانك ، وأوضح بيانك .

ولم يزالوا فى فرح وسرور إلى نصف الليل ، ثم قالت أخت الخليفة : اسمع يا أمير المؤمنين إنى رأيت حكاية فى الكتب عن بعض أرباب المراتب .

قال الخليفة : وما تلك الحكاية ؟

فقالت له أخته : اعلم يا أمير المؤمنين أنه كان بمدينة الكوفة صبى يسمى نعمة بن الربيع وكانت له جارية يحبها وتحبه ، وكانت قد تربت معه فى فراش واحد . فلما بلغا وتمكن حبهما من بعضهما بعضا رماهما الدهر بنكباته ، وجار عليهما الزمان بآفاته ، وحكم عليهما بالفراق ،

واحتال عليهما الوشاة حتى خرجت من داره واخذوها سرقة من مكانه . ثم إن سارقها باعها لبعض الملوك بعشرة آلاف دينار ، وكان عند الجارية لمولاها من المحبة مثل ما عنده لها ، ففارق أهله وداره وسافر فى طلبها ،وتسبب فى اجتماعه بها .

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢٨١

(فلما كانت الليلة الحادية والثمانون بعد المائتين) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ان نعمة لم يزل مفارقا لأهله ووطنه ، وخاطر بنفسه وبذل مهجته حتى توصل إلى اجتماعه بجاريته ، وكان يقال لها نعم . فلما اجتمع بها لم يستقر بهما الجلوس حتى دخل عليهما الملك الذى كان اشتراها من الذى سرقها ، فعجل عليهما وأمر بقتلهما ، ولم ينصف فى نفسه ، ولم يمهل عليهما فى حكمه . فما تقول يا أمير المؤمنين فى قلة إنصاف هذا الملك ؟

فقال أمير المؤمنين : إن هذا لشيء عجاب ، فكان ينبغى لذلك الملك العفو عند المقدرة ، لأنه يجب عليه أن يحفظ لهما ثلاثة أشياء : الأول أنهما متحابان ، والثانى أنهما فى منزله وتحت قبضته ، والثالث ان الملك ينبغى له التأنى فى الحكم بين الناس ، فكيف بالأمر الذى يتعلق به . فهذا الملك قد فعل فعلا لا يشبه فعل الملوك .

فقالت له أخته : يا أخى أسألك بحق ملك السموات والأرض أن تأمر نعم بالغناء وتسمع ما تغنى به .

فقال : يا نعم غنى لى .

فأطربت بالنغمات ، وانشدت هذه الأبيات :

غــدر الزمان ولم يزل غــدارا   يصمى القلوب ويورث الأفكارا
ويفرق الأحبــاب بعــد تجمــع   فترى الدموع على الخدود غزارا
كــانوا وكنت وكان عيشى ناعما   والدهر يجمــع شملنا مــدرارا
فلأبكــين دما ودمعــا ســاجما   أسفا عليــك ليــاليا ونهــارا

فلما سمع أمير المؤمنين هذا الشعر طرب طربا عظيما . فقالت له اخته : يا اخي من حكم على نفسه بشيء لزمه القيام به والعمل بقوله . وانت قد حكمت على نفسك هذا الحكم .

ثم قالت : يا نعمة قف على قدميك ، وكذا قفى أنت يا نعم . فوقفا فقالت أخت الخليفة : يا أمير المؤمنين إن هذه الواقفة هى نعم المسروقة ، سرقها الحجاج بن يوسف الثقفى وأوصلها لك ، وكذب



فيما ادعاه فى كتابه من أنه اشتراها بعشرة آلاف دينار . وهذا الواقف هو نعمة بن الربيع سيدها . وأنا أسألك بحرمة آبائك الطاهرين أن تعفو عنهما وتهب كلا منهما للآخر لتغنم أجرهما ، فإنهما فى قبضتك وقد أكلا من طعامك وشربا من شرابك ، وأنا الشافعة فيهما المستوهبة دمهما .

فعند ذلك قال الخليفة : صدقت ، أنا حكمت بذلك وما أحكم بشىء وأرجع فيه .

ثم قال : يا نعم هل هذا مولاك ؟

قالت له : نعم يا أمير المؤمنين .

فقال : لا بأس عليكما ، فقد وهبت كلا منكما للآخر .

ثم قال : يا نعمة وكيف عرفت مكانها ؟ ومن وصف لك هذا هذا المكان ؟

فقال : ياأمير المؤمنين اسمع خبرى وانصت إلى حديثى ، فوحق آبائك وأجدادك الطاهرين لا أكتم عنك شيئا .

ثم حدثه بجميع ما كان من أمره ، وما فعله معه الحكيم الأعجمى ، وما فعلته القهرمانة ، وكيف دخلت به القصر وغلط فى الأبواب ، فتعجب الخليفة من ذلك غاية العجب ، ثم قال : على بالأعجمى .

فأحضروه بين يديه ، فجعله من جملة خواصه وخلع عليه الخلع وأمر له بجائزة مليحة وقال : من يكون هذا تدبيره يجب أن نجعله من خواصنا .

ثم إن الخليفة أحسن إلى نعمة ونعم وأنعم عليهما ، وأنعم على القهرمانة ، وقعدا عنده سبعة أيام فى سرور وحظ وأرغد عيش ، ثم طلب نعمة منه الإذن بالسفر هو وجاريته فأذن لهما بالسفر إلى الكوفة ، فسافروا واجتمع بوالده ووالدته وأقاموا فى أطيب عيش إلى أن أتاهم هازم اللذات ، ومفرق الجماعات .

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

(فلما كانت الليلة الثانية والثمانون بعد المائتين) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الأمجد والأسعد لما سمعا من بهرام المجوسى الذى أسلم ، حكاية نعم ونعمة ، تعجبا منها غاية العجب . وباتا تلك الليلة ، ولما أصبح الصباح ركب الأمجد والاسعد وأرادا أن يدخلا على الملك ، فاستأذنا فى الدخول فأذن لهما . فلما دخلا أكرمهما وجلسوا يتحدثون . فبينما هم كذلك إذ بأهل المدينة يصيحون ، ويتصارخون ويستغيثون . فدخل الحاجب على الملك وقال له: إن ملكا من الملوك نزل بعساكره على المدينة ، وهم شاهرون السلاح وما ندرى ما مرادهم .

فأخبر الملك وزيره الأمجد وأخاه الأسعد بما سمعه من الحاجب ، فقال الأمجد : أنا أخرج إليه وأكشف خبره .

فخرج الأمجد إلى ظاهر المدينة ، فوجد الملك ومعه عسكر كثير ومماليك راكبون . فلما نظروا إلى الأمجد عرفوا أنه رسول من عند ملك المدينة فأخذوه وأحضروه قدام السلطان . فلما صار قدامه قبل الأرض بين يديه ، وإذا بالملك امرأة ضاربة لها لثاما فقالت : اعلم أنه ما لى عندكم فى هذه المدينة إلا مملوك أمرد . فإن وجدته عندكم فلا بأس عليكم ، وإن لم أجده وقع بينى وبينكم القتال الشديد ، لأننى ما جئت إلا فى طلبه .

فقال الأمجد : أيتها الملكة ما صفة هذا المملوك وما خبره وما اسمه ؟

فقالت : اسمه الأسعد وأنا اسمى مرجانة ، وهذا المملوك كان جاء فى صحبة بهرام المجوسى وما رضى أن يبيعه فأخذته منه غصبا ، فعدا عليه وأخذه من عندى بالليل سرقة . وأما أوصافه فإنها كذا وكذا .

فلما سمع الأمجد ذلك علم أنه أخوه الأسعد ، فقال لها : يا ملكة الزمان الحمد لله الذى جاءنا بالفرج ، إن هذا المملوك هو أخى .

ثم حكى لها حكايته وما جرى لهما فى بلاد الغربة ، واخبرها بسبب خروجهما من جزائر الآبنوس . فتعجبت الملكة مرجانة من ذلك وفرحت بلقاء الأسعد وخلعت على اخيه الأمجد . ثم بعد ذلك عاد الأمجد إلى الملك وأعلمه بما جرى ، ففرحوا بذلك . ونزل الملك هو والأمجد والأسعد قاصدين الملكة ، فلما دخلوا عليها جلسوا يتحدثون . فبينما هم كذلك إذ بغبار طار حتى سد الأقطار ، وبعد ساعة انكشف ذلك الغبار عن عسكر جرار مثل البحر الزخار ، وهم مهيئون بالعدد والسلاح . فقصدوا المدينة ثم داروا بها كما يدور الخاتم بالخنصر ، وشهروا سيوفهم .. فقال الأمجد والأسعد : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ما هذا الجيش الكبير ؟ إنه أعداء لا محالة . وإن لم نتفق مع هذه الملكة مرجانة على قتالهم أخذوا منا المدينة وقتلونا . وليس لنا حيلة إلا أننا نخرج إليهم ونكشف خبرهم .

ثم قام الأمجد وخرج من باب المدينة وتجاوز جيش الملكة مرجانة . فلما وصل إلى العسكر وجده عسكر جده الملك الغيور ، ابى أمه الملكة بدور .

وادرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢٨٣

(فلما كانت الليلة الثالثة والثمانون بعد المائتين) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ، أن الأمجد لما وصل إلى العسكر وجده عسكر جده الملك الغيور ، صاحب الجزائر والبحور ، والسبعة القصور . فلما صار قدامه قبل الأرض بين يديه وبلغه الرسالة وقال له : ما اسمك ؟

قال : أنا اسمى الملك الغيور ، وقد جئت عابر سبيل لأن الزمان

فجعني في بنتي بدور . فإنها فارقتني وما رجعت إلي ، وما سمعت لها ولزوجها قمر الزمان خبرا ، فهل عندكم خبر بهما ؟

فلما سمع الأمجد ذلك أطرق إلى الأرض ساعة يتفكر حتى تحقق أنه جده أبو أمه ، ثم رفع رأسه وقبل الأرض بين يديه وأخبره أنه ابن بنته بدور .

فلما سمع الملك أنه ابن بنته بدور رمى نفسه عليه وصارا يبكيان . ثم قال الملك الغيور : الحمد لله على السلامة ، وعلى أنني اجتمعت بك .

ثم حكي له الأمجد أن ابنته بدور في عافية ، وكذلك أبوه قمر الزمان ، وأخبره أنهما في مدينة يقال لها جزيرة الأبنوس . وحكى له أن قمر الزمان والده غضب عليه وعلى أخيه وأمر بقتلهما ، وأن الخازن رق لهما وتركهما بلا قتل .

فقال الملك الغيور : أنا أرجع بك وبأخيك إلى والدك ، وأصلح بينكما وأقيم عندكم .

فقبل الأرض بين يديه . ثم خلع الملك الغيور على الأمجد ابن بنته ، ورجع الأمجد مبتسما إلى الملك وأعلمه بقصة الملك الغيور ، فتعجب منها غاية العجب . ثم أرسل له آلات الضيافة من الخيل والجمال والغنم والعليق وغير ذلك ، وأخرج للملكة مرجانة كذلك ، وأعلموها بما جرى فقالت : أنا أذهب معكم بعسكري ، وأكون ساعية في الصلح .

فبينما هم كذلك إذ بغبار قد ثار ، حتى سد الأقطار ، واسود منه النهار . وسمعوا من تحته صياحا وصراخا وصهيل الخيل ، ورأوا سيوفا تلمع ، ورماحا تشرع . فلما قربوا من المدينة ورأوا العسكرين دقوا الطبول ، فلما رأى الملك ذلك قال : ما هذا النهار إلا نهار مبارك . الحمد لله الذي أصلح بيننا وبين هذين العسكرين ، وإن شاء الله تعالى يصلح بيننا وبين هذا العسكر أيضا .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

(فلما كانت الليلة الرابعة والثمانون بعد المائتين) قالت : بلغني أيها الملك السعيد أن الملك قال : إنه جيش ثقيل ما رأيت أثقل منه .

فخرج الاثنان الأمجد وأخوه الأسعد بعد أن أغلق الملك باب المدينة خوفا من العسكر المحيط بها ، وسارا حتى وصلا إلى العسكر الذى وصل ، فوجداه عسكر ملك جزائر الآبنوس ، وفيه والدهما قمر الزمان . فلما نظراه قبلا الأرض بين يديه وبكيا ، فلما رآهما قمر الزمان رمى نفسه عليهما وبكى بكاء شديدا ، واعتذر لهما وضمهما إلى صدره ، ثم



اخبرهما بما قاساه بعدهما من الوحشة الشديدة لفراقهما . ثم إن الأمجد والأسعد ذكرا عن الملك الغيور انه وصل إليهم ، فركب قمر الزمان في خواصه ، وأخذ ولديه الأمجد والأسعد معه ، وساروا حتى وصلوا إلى قرب عسكر الملك الغيور ، فسبق واحد منهم إلى الملك الغيور واخبره ان قمر الزمان وصل ، فطلع إلى ملاقاته ، فاجتمعوا بعضهم ببعض وتعجبوا من هذه الأمور ، وكيف اجتمعوا في هذا المكان .

وصنع أهل المدينة الولائم وأنواع الأطعمة والحلاوى ، وقدموا الخيول والجمال والضيافات والعليق وما يحتاج إليه العساكر . فبينما هم كذلك إذ بغبار قد ثار حتى سد الأقطار ، وارتجت الأرض من الخيول ، وصارت الطبول كعواصف الرياح ،والجيش جميعه بالعدد والزرود وكلهم لابسون السواد ، وفي وسطهم شيخ كبير ولحيته واصلة إلى صدره ، وعليه ملابس سود . فلما نظر أهل المدينة هذه العساكر العظيمة قال صاحب المدينة للملوك : الحمد لله الذي اجتمعتم بإذنه تعالى في يوم واحد ، وكنتم كلكم معارف ، فما هذاالعسكر الجرار الذي قد سد الأقطار ؟

وادرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢٨٥

(فلما كانت الليلة الخامسة والثمانون بعد المائتين) قالت : بلغني أيها الملك السعيد أن صاحب المدينة قال للملوك : الحمد لله الذي اجتمعتم بإذنه تعالى في يوم واحد ، وكنتم كلكم معارف ، فما هذا العسكر الجرار الذي قد سد الأقطار ؟

فقال له الملوك : لا تخف منه فنحن ثلاثة ملوك ، وكل ملك له عساكر كثيرة .. فإن كانوا أعداء نقاتلهم معك ، ولو زادوا ثلاثة أمثالهم .

فبينما هم كذلك إذ برسول من تلك العساكر قد اقبل متوجها إلى

هذه المدينة ، فقدموه بين يدى قمر الزمان والملك الغيور والملكة مرجانة والملك صاحب المدينة . فقبل الأرض وقال : إن هذا الملك من بلاد العجم ، وقد فقد ولده من مدة سنين، وهو دائر يفتش عليه فى الأقطار . فإن وجده عندكم فلا بأس عليكم ، وإن لم يجده وقعت الحرب بينه وبينكم وخرب مدينتكم .

فقال له قمر الزمان : ما يصل إلى هذا ،ولكن ما يقال له فى بلاد العجم ؟

فقال الرسول : يقال له الملك شهرمان ، صاحب جزائر خالدات .. وقد جمع هذه العساكر من الأقطار التى مر بها ، وهو دائر يفتش على ولده .

فلما سمع قمر الزمان كلام الرسول صرخ صرخة عظيمة وخر مغشيا عليه . واستمر فى غشيته ساعة ، ثم أفاق وبكى بكاء شديدا ، وقال للأمجد والأسعد وخواصهما : امشوا يا أولادى مع الرسول وسلموا على جدكم والدي الملك شهرمان ، وبشروه بى فإنه حزين على فقدى ، وهو الآن لابس الملابس السود من أجلى .

ثم حكى للملوك الحاضرين جميع ما جرى فى أيام صباه ، فتعجب جميع الملوك من ذلك ، ثم نزلوا هم وقمر الزمان وتوجهوا إلى والده ، فسلم قمر الزمان على والده وتعانقا ووقعا مغشيا عليهما من شدة الفرح . فلما أفاقا حكى لابنه جميع ما جرى له ، ثم سلم عليه بقية الملوك وردوا مرجانة إلى بلادها بعد أن زوجوها بالأسعد ، ووصوها أنها لا تقطع عنهم مراسلتها . ثم زوجوا الأمجد بستان بنت بهرام ، وسافروا كلهم إلى مدينة الآبنوس ، وخلا قمر الزمان بصهره وأعلمه بجميع ما جرى له وكيف اجتمع بأولاده ، ففرح وهناه بالسلامة . ثم دخل الملك الغيور بابنته إلى بلده .

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

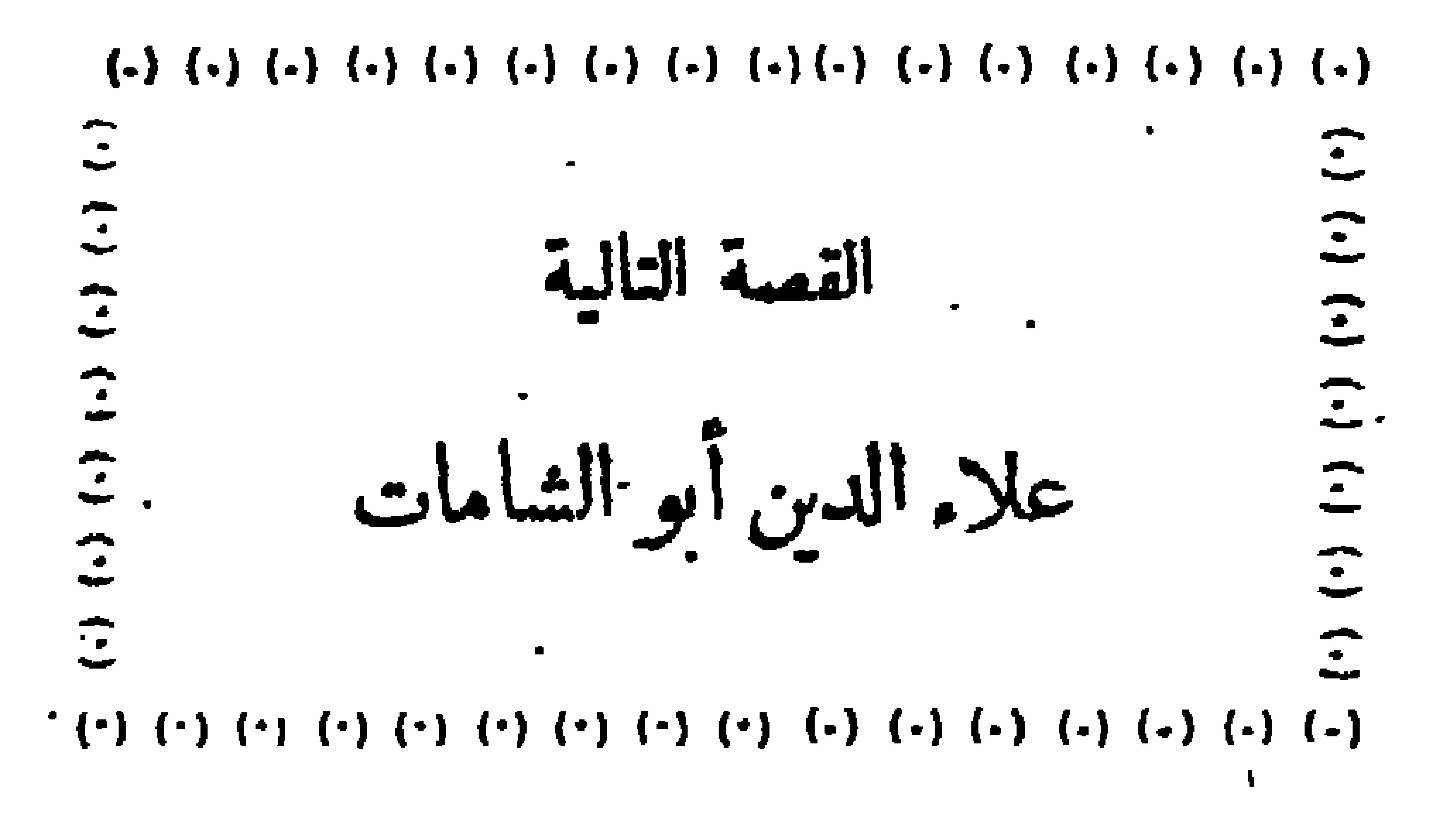
(فلما كانت الليلة التاسعة والأربعون بعد المائتين) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك الغيور سافر بابنته وجماعته إلى بلده ، وأخذ الأمجد معهم . فلما استقر فى مملكته أجلس الأمجد يحكم مكان جده ، وأما قمر الزمان فإنه أجلس ابنه الأسعد يحكم مكانه فى مدينة جده أرمانوس ورضى به جده . ثم تجهز قمر الزمان وسافر مع أبيه الملك شهرمان إلى أن وصل إلى جزائر خـالدات ، فزينت له المـدينة واستمرت البشائر تدق شهرا كاملا . وجلس قمر الزمان يحكم مكان أبيه إلى أن أتاهم هازم اللذات ، ومفرق الجماعات ، والله أعلم .

* * *

فقال الملك : يا شهر زاد إن هذه الحكاية عجيبة جدا .

قالت : أيها الملك ، ليست هذه الحكاية بأعجب من حكاية علاء الدين أبى الشامات .

قال : وما حكاية علاء الدين أبى الشامات .



القصة التالية

علاء الدين أبو الشامات

ألف ليلة وليلة

مراجعة الأستاذين

سعيد جوده السحار ، عبد الستار فراج

دار مصر للطباعة